بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

أتحدث بمناسبة شهادة الإمام الصادق (ع)، تولى الإمام الصادق (ع) الإمامة في السنة الرابعة عشرة بعد المئة، وتوفي في السنة الثامنة والأربعين بعد المئة، فكانت مدة إمامته الظاهرية حوالي أربعة وثلاثين سنة

في هذه الفترة حدث انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس، وكثير من الناس عقدوا أملا كبيرا على قيام بني العباس بالحكم، فقد كان هنالك تصور وإحساس –بشكل عام– أن بني أمية منحرفون عن الدين لا فقط أن يزيدا قتل الحسين (ع)، بل لأنهم لا يمثّلون الدين ولا يطبقونه، هذا الإحساس بشكل عام كان موجودا عند الناس، كانوا يعرفون أن ما يقوم به بنو أمية ليس عدلا، لأن أي إنسان إذا خُلّي وطبعه يعرف العدل إجمالا[2] مضافا إلى ذلك كان هنالك فئات من الناس –وفيهم المخلصون– كانوا يروّجون الدين حسب تصورهم وفهمهم للدين فكانوا ينتقدون بني أمية لكنهم كانوا يركزون على مسائل معينة مثل ثرائهم ترفهم بذخهم وارتكابهم لبعض المعاصي وأمثال ذلك

نتيجة ذلك كان بنو العباس ودعاتهم يركزون على ظلم بني أمية وعلى أشياء معينة محددة تثير النفوس كمقتل الإمام الحسين (ع)، وأن بني العباس ادّعوا أنهم يدعون إلى الرضا من آل محمد (ص) وأنهم يسعون لإحياء الكتاب وسنة رسول الله (ص) وتحقيق العدل، لذلك تهيأت الأرضية للتفاعل معهم

في السنة الثانية والثلاثين بعد المئة انتصروا على بني أمية، كانوا باسم الإسلام وباسم النبي (ص) أتوا إلى الحكم، لكن الفئة الوحيدة التي لم تتفاعل معهم هي الفئة القليلة التي تتبع الإمام الصادق (ع)

بالتدريج ثبت أن بني العباس فعلا لم يكونوا يختلفون عن بني أمية، فقط الأسماء تغيرت وبعض الطقوس كذلك تغيرت لكن الواقع لم يتغير، العدل الذي يتطلع له الناس لم يتحقق، لأنه في الواقع كان

---

[1] الحديث كان في يوم الجمعة بتاريخ ٢٤ شوال ١٤٢٤

[2] بيّن السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٢**) فصل (**العدل والصدق**)

الأشخاص يركزون على ظلم بني أمية وانحرافهم ويركزون على أشياء معينة محددة كانت بارزة في أعينهم فكانوا يتصورون أن هذه الأشياء إذا تغيرت فالعدل يتحقق، لكن العدل ليس كذلك فالإمام الصادق (ع) ومن معه من المؤمنين كانوا يعرفون كيفية تحقيق العدل لذلك لم يبتلعهم هذا الوضع الذي ابتلع الجميع –يعني جميع المهتمين، لأنه يوجد أناس لا مبالون ولا يهمهم شيء وكل همّهم دنياهم ومعيشتهم– لكن يوجد هنالك أناس همّهم أن يتحقق العدل، كانوا يعلمون بأن هنالك مشكلة ويشعرون بها، فكانوا يتحركون ويتعاطفون فهذا شيء طبيعي فطري في الإنسان، فثورة بني العباس حينما حصلت جذبت هؤلاء جميعا باستثناء الإماميين المتبعين للإمام الصادق (ع) وهذا ليس سهلا ولا هيّنا

الإمام الصادق (ع) كان قائما بأمر وهو أمر النبي (ص) والأئمة (ع) وله طريق وسبيل معين لتحقيق ذلك، وهذا الأمر له جوانب مختلفة سأشير إلى جانبين منه، الجانب الأول أن الدين لا يقوم إلا بإمامة وهذا الأساس الذي بُنيت عليه الإمامة، يعني بعد وفاة رسول الله (ص) ماذا كانت مشكلة أمير المؤمنين مع الآخرين؟ ولماذا كل احتجاجات فاطمة (ع)؟ وما هي مظلوميتها (ع)؟ أساسها هذا وهو أن الدين انحرف بعد وفاة رسول الله (ص) وأن هذا الذي يمارَس ليس هو ما كان يستهدفه النبي (ص)، في مقابل هذا يوجد طرح آخر يمثله الوضع العام والذي استحوذ على المسلمين وهو أنه (ص) أدى ما حُمّل من الرسالة ونحن الآن نعمل بدينه بإخلاص، بينما الإمامة تقول يا ناس الإسلام ليس فقط عبارة عن صلاة وصيام وحج وغيرها من المظاهر العبادية، هذه الأشياء لا تؤدي إلى شيء إذا لم يتوفر ركنها الأساسي، وهذا الركن هو الذي يحرر الإنسان من عبودية الناس والأشياء ليصبحوا عبيدا لله وحده، وهذا لا يتحقق إلا بالإمامة

لأن الإمامة سواء مهتدية أو ضالة هي التي تسيّر الناس، أنت تستطيع أن تعرف هذا الشيء، أن إمامة العالم التي تدفع باتجاه الشهوات وتفرض بضغط هائل لتجعلك ضمن خط معين ينظّم ويفسر الأشياء لك، فأي شيء يقال في هذا العالم تعتبره صحيحا وأي شيء يرفضه فأنت تعتبره خاطئا، أليس كذلك؟ هذا هو هدف العالم الآن، في هذه الصورة أنت إذا استطعت أن تراجع نفسك تجد أن الإنسان يخضع

للوضع القائم –وأكثر الناس خاضعون لهذا الوضع– فلا يمكن أن يكون الإنسان حرا، فهو عبد لإمامة العالم ولمخططاته ولدعوة المترفين ولدعوتهم، هذا تستطيع أن تعرفه

والدين يدعو لكسر هذه الأشياء كلها في نفسك ليحررك منها، ليجعلك أنت تملك قرارك ونيّتك، لأن لا تكون فتنة لأن لا يكون رب غير الله، لأن لا تتخذ ربا من دون الله ولا أحد يستطيع أن يستضعفك ويفتتنك ويضلك، وليكون الناس سواسية كأسنان المشط، فلولا هذا الإحساس وهذه المساواة فالعبودية لله وحده لا تحصل، لا يمكن للإنسان أن يقول إياك نعبد وإياك نستعين إلا أن يمتلك قراره ونيته، هذا واضح حسب تصوري، هذا التحرير الذي لابد منه بحيث أن لا تكون هنالك فتنة استضعاف إذلال ولا تذلل، هذا لا يحصل إلا بولاية إمام من الله عز وجل

هذه دعوة الأئمة (ع) والتي تجسّدت في خلافة أمير المؤمنين (ع) في صورة ملفتة[٣]، لأنه بعد وفاة رسول الله (ص) ولمدة خمس وعشرين سنة الإنسان مرة ثانية استضعف فأصبح همّه نفسه ودنياه، وإن كان يصلي ويصوم وتوجد تقيّدات توجد التزامات شرعية لكن أن يجاهد لتعلو كلمة الله هذا أصلا لا يفهم ولا يستهدف، لكن في عهد أمير المؤمنين (ع) أعاد الإنسان مرة أخرى ليكون في أحسن تقويم، يمارس هذه المسؤولية يقاتل في سبيل الله لأن لا تكون فتنة لأن لا يكون استضعاف (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء)[٤]، وشهادة الإمام الحسين (ع) أحيَت هذا كذلك، فدعوة الأئمة (ع) هي أن هذا الذي يطرح ويمارس ليس هو الدين الذي بعث له رسول الله (ص) بل الدين هو الذي يحقق هذه الحقيقة أن يكون أكرم الناس أتقاهم (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[٥]

لذلك شيعة الأئمة (ع) يطمحون وينتظرون في طول هذه المرحلة الطويلة لقيام القائم (ع) وتحقيق العدل (يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا)[٦]، فالإنسان الإمامي منذ عهد أمير المؤمنين

---

[٣] بيّن السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٤ – الإمامة**) فصل (**الحق المصدق**)

[٤] (النساء: ٧٥)

[٥] (الحجرات: ١٣)

[٦] بحار الأنوار (٧٤/٥١) نقلا عن غيبة الشيخ الطوسي

(ع) كان يتربى فيه هذا الطموح، هذه الأمنية أن العدل سوف يتحقق، وأنه هو يساهم في إيجاد عالم عادل، وهم على بصيرة كعمار بن ياسر (والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وهم على الباطل)[٧]، أمنيتهم ممتدة، وأنت كذلك لك إمكانية أن تساهم في تحقيق هذا العدل، هذا كان من سمات الإمامي البارزة، لذلك كان يسعى ويجاهد

فالجانب الأول الذي أردت بيانه: أن الإمام الصادق (ع) –وجميع الأئمة (ع)– كانوا يجسدون دعوة وسبيل ويعرفون الناس ويذكّرونهم بأن لا تخدعهم هذه المظاهر الدينية فهي مجرّد مظاهر ولا تحقق دعوة النبي (ص)، وإنما الدين الذي نتدين به ونسعى له ونعاني لأجله هو ما يحقق هذه الموازنة: الله وحده أكبر، ثم الإنسان هو خليفة الله في الأرض ويكون حقيقة في أحسن تقويم، وباقي الأشياء مُسخّرة له (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمواتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ)[٨]، فالإنسان مسؤول عن كل شيء في هذا العالم ، هذه الموازنة هي أساس العدل، هذا العدل أنت تعرفه إذا تحررت وإذا بك لا تريد شيئا غير ربك، تناجي ربك تشعر بالقرب منه فكأن كل شيء في هذا العالم أُعطي لك

فالأئمة (ع) كانوا يُضطهدون لهذا، هل فكرت بهذا؟ شعرت بأن هذا الأمر كم هو صعب؟ (إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)[٩]، أنت شيعي هل أتى ببالك هذا؟ ما هو دور الأئمة وما هو دورك أنت كمؤمن؟ الأئمة وشيعتهم كانوا يعانون لهذا، والآن كذلك هنالك أناس (قزع كقزع الخريف)[١٠] يترصدون ينتظرون الفرج

والجانب الثاني الذي كان يهم الإمام الصادق (ع) –والأئمة (ع)– هو أن هذه الدعوة وهذا السبيل لابد وأن يتجسّد في أناس قائمين يمثلون هذه الدعوة وأنت لك هذه الإمكانية، تقول يا بن رسول الله أنا عرفتك عرفت هدفك عرفت دعوتك الآن حينما أقول في صلاتي (الله أكبر) أعرف وأتمنى وأرغب

---

[٧] وقعة صفين (٣٤١)

[٨] (الجاثية: ١٣)

[٩] بحار الأنوار (١٩٥/٢) نقلا عن بصائر الدرجات

[١٠] الكافي (٣١٣/٨)

لأكبر الله وحده في النفوس، لذلك صرت معك أنصرك يا رسول الله وأنصرك يا أمير المؤمنين وأنصر قائمكم (ع) وأنتظره، لتكون من هؤلاء الأشخاص الذين يملكون أنفسهم وينصرون هذا الأمر

بطبيعة الحال هناك أناس كانوا يرغبون أن يُحسبوا على الإمام الصادق (ع) خصوصا في تلك الفترة التي خفّت فيها التقية وصار للإمام الصادق (ع) وجود كما ينقل أن مجموعات كبيرة كانوا يريدون الانتماء من دون عطاء من دون اندفاع معه، فالمتخاذلون أصبحوا يُحسبون على الإمام (ع) ويشوهوا هذه الدعوة التي أصبح لها رصيد من دم أمير المؤمنين (ع) الطاهر ومن دم سيد الشهداء (ع) ومن معاناة أهل البيت (ع) وخيرة أصحابهم، فالإنسان دائما يستطيع أن يبرر لنفسه (وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)[11]، فهنا يحصل انتماء للأئمة بالكلام فقط بلا معاناة ولا أحد يرجو منه خيرا

التشيع هو الذي تمثل في أبي ذر، الذي لم يستقر في مكان مع أنه رجل كبير السن حُمل من الشام إلى المدينة على جمل بلا سرج فتآكلت ساقاه، رواية تنقل أنه (كان رجل بالمدينة يدخل مسجد الرسول (ص) فقال اللهم آنس وحشتي وصل وحدتي وارزقني جليسا صالحا فإذا هو برجل في أقصى المسجد فسلم عليه وقال له من أنت يا عبد الله فقال أنا أبو ذر فقال الرجل الله أكبر الله أكبر فقال أبو ذر ولم تكبر يا عبد الله فقال إني دخلت المسجد فدعوت الله عز وجل أن يؤنس وحشتي وأن يصل وحدتي وأن يرزقني جليسا صالحا فقال له أبو ذر أنا أحق بالتكبير منك إذا كنت ذلك الجليس، قم يا عبد الله فقد نهى السلطان عن مجالستي)[12]، أو من أصحاب الإمام الصادق (ع) من تُرفض شهادتهم باعتبارهم روافض (شهد أبو كدينة الأزدي ومحمد بن مسلم الثقفي عند شريك بشهادة وهو قاض ونظر في وجههما مليا ثم قال جعفريان فاطميان فبكيا فقال لهما ما يبكيكما فقالا نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن نكون من إخوانهم)[13]،هؤلاء هم الذين تجسّدت بهم دعوة الأئمة في حياة الإمام الصادق (ع)

---

[11] (الكهف: ٥٤)

[12] الكافي (٣٠٧/٨)

[13] بحار الأنوار (٣٩٣/٤٧) نقلا عن الاختصاص

هل تتصور أنه الآن يوجد من يقول لا تحسبني على الشيعة؟ أم أن الشخص يحصل عنده تصور أنه هو فعلا شيعي، كما في رواية الكافي أن شخصا يأتي إلى الإمام الصادق (ع) يقول (ما نلقى من الناس فيك فقال أبو عبد الله (ع) وما الذي تلقى من الناس في فقال لا يزال يكون بيننا و بين الرجل الكلام فيقول جعفري خبيث...)[١٤]، هذا يعتبر نفسه شيعيا يتكلم ويتصرف على هذا الأساس، فالإمام الصادق (ع) يقول (ما أقل والله من يتبع جعفرا)، هذه المعاناة معاناة شديدة لأن يبيّن الإمام للناس أيها الناس الإسلام فيه إمامة، والإسلام محوره الإمامة، ولا يحصل العدل من دونها، الإسلام إذا جُسّد وطبّق بصورته الصحيحة فالإنسان يصبح فيه في أحسن تقويم، يصبح كمصعب بن عمير، كمالك الأشتر، كعمار بن ياسر، كأبي ذر وغيرهم، بينما الأكثرية من الناس كانوا يدعون أن الإسلام هو هذا الذي يطرحونه، فالإمام في معاناة دائمة كما في بعض الروايات (أما والله لو أني أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتمهم حديثا)[١٥]، كأنه يتمنى أن هؤلاء يبتعدون عنه، لتبقى دعوته نقية ليستطيع أن يقول (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ)[١٦]، هذا هو عملي هذا هو شغلي

هل فكرت أنك تُحسب على الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)، وأنك تُحسب على هذا المذهب؟ فهل ساهمت وسعيت وجاهدت لأن تعرف أمر الأئمة (ع)؟ ثم جاهدت لأن تنصرهم؟

أرجو أن يجعل الله في هذا المقدار نفعا، وفقكم الله لمراضيه وليس بعزيز على الله أن يجعلنا ابتداء من هذا اليوم من أنصار الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) ومن أنصار الأئمة (ع)

والحمد لله رب العالمين

---

[١٤] الكافي (٢/٧٧)

[١٥] الكافي (٢/٢٤٢)

[١٦] (الحاقة: ١٩)